مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

العدد الواحد والخمسون - مارس 2012

المدرسة المغربية وإعداد النشء للانخراط في مجتمع المعرفة

(خلاصة نتائج تقرير المعرفة العربي 2011/2010 الخاص بحالة المغرب)

أحمد أوزي

تستند رؤية تقرير المعرفة العربي للعام 2010 ـ 2011 لعمليات إعداد الأجيال القادمة لبناء مجتمع المعرفة على التلازم بين ثلاثية المهارات والقيم والتمكين. بهدف الاتجاه نحو مرحلة التحرك لإرساء الحجر الأساس في بناء مجتمع المعرفة من خلال وضع أسس التعامل مع منهجيات وآليات إعداد الأجيال القادمة لتأهيلها للمشاركة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة وولوج مجالاته الرحبة، الشيء الذي يقتضي إعداد الإنسان العربي من خلال بناء مهاراته وكذلك غرس القيم الضابطة والموجهة لقراراته وتعاملاته بغية تحقيق الهدف الأسمى المتمثل في تحقيق التنمية الإنسانية المستدامة دعماً لعزة الإنسان العربي وكرامته. وفي هذا السياق نعرض خلاصة نتائج الدراسة الميدانية التي تمت على عينة من تلاميذ نهاية التعليم الثانوي ببعض مؤسسات التعليم الثانوي بمدينة الرباط، بهدف تقييم مدى جاهزيتهم للمشاركة في مجتمع المعرفة.

تقييم مدى جاهزية النشء في المغرب للمشاركة في مجتمع المعرفة

تهدف المسوح الميدانية التي نعرض إجراءاتها ونتائجها معرفة المهارات والقيم التي لدى النشء، الذي شكل عينة هذا البحث، والتعرف على البيئات التمكينية المحيطة بها، للاطلاع عما إذا كانت تتوافر على الإمكانات الضرورية للمشاركة بفعالية في مجتمع المعرفة. كما يقدم وجهة نظر المدرسين الذين يمارسون عملهم معهم، للوقوف على الظروف المهنية التي يعملون فيها، ومدى دعمها وتعزيزها أو عرقلتها لمهامهم التربوية. كما يقدم نتائج الورشة التي شاركت فيها مجموعة من المختصين وأصحاب القرار لمعرفة وجهة نظرهم حول أهم المهارات والقيم المتوافرة لدى النشء.

منهجية الدراسة الميدانية

تبعا للمنهجية العامة للدراسات الميدانية للتقرير، التي تستند على الاطلاع على آراء التلاميذ ومدرسيهم والمحيط العام، فقد تم التركيز على ثلاث فئات من المجتمع لاستطلاع آرائهم. تمثل الفئة الأولى التلاميذ وهي العينة المركزية. وتمثل الثانية المدرسين الذين يدرّسون في مدارس عينة التلاميذ. أما الفئة الثالثة، فإنها تتكون من الخبراء والمفكرين ومتخذي القرار كممثلين للمجتمع المغربي.

عينة التلاميذ

تمشيا مع المنهجية العامة المتبعة في دول الحالة الأخرى (الفصل الخامس من التقرير العام) تم اختيار عينة البحث بطريقة عشوائية وطبقية بكيفية يتم فيها الحصول على عينة ممثلة لتلاميذ السنة الثانية من البكالوريا (الصف الثاني عشر) من مدارس الثانويات التأهيلية بالرباط. وكانت مميزات العينة كما يلي:

سحبت العينة وفقا للبيانات المرسلة والمعتمدة من المركز الوطني للتقويم والامتحانات، وهي بيانات توضح أعداد التلاميذ ومسالكهم العلمية. واشتملت على 38 مؤسسة و 11 مسلكا علميا و 9011 تلميذا. وقد اقتصرت الدراسة على التلاميذ المغاربة دون غيرهم وعلى تلاميذ مدينة الرباط لأغراض منهجية. كما ضمت عينة البحث مؤسسات التعليم العمومي والخاص ولم تشتمل على تلاميذ البعثات على اعتبار أنهم يخضعون لنظام تعليمي مغاير للتعليم العمومي. كما أن عينة البحث اشتملت على جميع المسالك العلمية الموجودة في المغرب.

اشتملت العينة على 28 مؤسسة ثانوية تأهيلية بمدينة الرباط (انظر الملحق بأسماء المدارس). وبلغ عدد التلاميذ في العينة العشوائية 1574 تلميذ وتلميذة. منها 725 تلميذاً و 849 تلميذة من جميع المسالك.

عينة المدرسين:

تم سحب عينة عشوائية من مدرسي التلاميذ الذين تم اختيارهم في العينة من نفس المدارس التي أخذت منها عينت التلاميذ، مع مراعاة التنوع في مسالك المدرسين، ليشمل جميع المسالك العلمية. وكان حجم عينة المدرسين 147 مدرسا.

فئة الخبراء ومتخذي القرار:

نظمت ورشة استخدام خلالها تقنية العصف الذهني ضمت فئة من الخبراء والأخصائيين ذوي العلاقة، بهدف استطلاع آرائهم حول قضايا ذات العلاقة، وذلك يوم 30 نوفمبر/تشرين الثاني 2010. وقد ضمت ورشة العمل نحو 45 خبيرا ينتمون إلى تخصصات علمية ومعرفية مختلفة من القطاع العام والخاص، لاستجلاء آرائهم وتوجهاتهم حول أهم القضايا التي تهم إعداد النشء وتأهيله للمشاركة الفعالة في مجتمع المعرفة، وتحديد النواقص التي

يرون أنها تعرقل هذا المسعى واقتراح السبل الكفيلة للتغلب عليها.

نتائج الدراسة الميدانية

المهارات

نظرا للطبيعة الريادية لدراسات الحالة فقد تم الاعتماد على قياس المهارات المعرفية والوجدانية والاجتماعية وذلك بهدف استكشاف مدى امتلاك التلاميذ لتلك المهارات وقدرتهم على ولوج مجتمع المعرفة. إن كل مهارة من هذه المهارات الثلاثة تتكون من عدة مهارات فرعية احتسبت درجتها من 25 درجة كحد أقصى وبذلك تم افتراض أن الحد الأدنى المفترض لامتلاك أية مهارة فرعية هو 12.5 درجة. وقيست المهارات المعرفية عن طريق أربع مهارات فرعية، ولذلك كان الحد الأقصى للدرجة هو 100 درجة والحد الأدنى المفترض لامتلاك المهارة هو 50 درجة. أما بالنسبة للمهارات الوجدانية والاجتماعية فيتكون كل منهما من ثلاث مهارات فرعية، وبالتالي كان الحد الأقصى لأي من المهارتين هو 75 درجة، والحد الأدنى المفترض لامتلاك أي منهما هو 37.5 درجة.

أولا: المهارات المعرفية

تم اعتماد مهارة البحث عن المعلومات، ومهارة التواصل الكتابي، ومهارة حل المشكلات وأخيرا مهارة استخدام التقانة كمؤشر على درجة امتلاك الطلاب للمهارات المعرفية. وفيما يلي عرض وتحليل نتائج المهارات المعرفية، مجمعة ومفصلة.

يتضح من خلال البيانات التي يتضمنها الجدول السابق أن مستوى المهارات المعرفية مجمعة لدى أفراد العينة لا يزال ضعيفا، ولم يبلغ الحدود الدنيا لولوج مجتمع المعرفة، إذ أن المتوسط الحسابي الإجمالي لدرجات أفراد العينة لم يتجاوز 36.33 درجة. وهو ما يعني ابتعاد متوسط درجات المستجوبين عن الحد الأدنى المفترض لامتلاك المهارة (50 درجة) بنحو 13.67 درجة، مما يوضح أن هناك مسافة بين المتوسطين، وهو ما يؤشر على ضعف المكتسبات المدرسية في المهارات

نتائج المهارات المعرفية مجمعة

(تتراوح الدرجة الكلية من 0 إلى 100)

المتوسط الحسابي[1]			الانحراف المعياري[2]		الانحراف المعياري[3]	أصغر درجة	أعلى درجة	الفروق الإحصائية بين الذكور والإناث
ذكور	إناث	إجمالي	ذكور	إناث				
36.37	36.30	36.33	10.78	10.94	10.86	0	71	لا يوجد فرق

المعرفية. ويعد هذا التحكم الضعيف في هذه المهارات عاما لدى جميع أفراد العينة سواء منهم الذكور أو الإناث، حيث تقاربت متوسطات أداء الذكور والإناث دون وجود فارق ذي دلالة إحصائية، وظل الأداء بعيدا حتى عن المستوى المتوسط. ويؤيد مستوى الانحراف المعياري (10.86) هذا الضعف العام في المهارات المعرفية، لأنه لا يعكس وجود تشتت كبير.

النتائج التفصيلية للمهارات المعرفية الأربعة

عند مقارنة المتوسطات التي حصلنا عليها في كل مهارة من المهارات المعرفية المدروسة، تبيّن أن الفروق دالة إحصائيا، أي أنه بصفة عامة، يمكن القول أن هناك ضعف في جميع المهارات المعرفية لدى تلاميذ مجتمع الدراسة؛ ولكنه ضعف متفاوت حيث توجد فروق جوهرية في مستويات امتلاك تلك المهارات؛ فعند مقارنة درجات المهارات الأربعة، نجد أن التحكم في مهارة التواصل الكتابي يعتبر الأضعف من بين جميع المهارات المعرفية، حيث يقل المتوسط الإجمالي الفعلي عن الحد الأدنى المفترض لامتلاك تلك المهارة بمقدار 7.21 درجة، كما حصل نحو خمس التلاميذ (19.6%) من بين المستجوبين على صفر في هذه المهارة. كما نلاحظ وجود تشتت كبير بين أفراد العينة في هذه المهارة، أي أن هناك مستويات متفاوتة في القدرة على الكتابة لديهم (من الرديء إلى الممتاز)، وهو ما يفسر قيمة الانحراف المعياري 4.84 الذي يقترب من قيمة المتوسط الحسابي الإجمالي.

أما بخصوص مهارة حل المشكلات، فهي تبدو بدورها غير مُمتلكة لدى أفراد عينة البحث، لأن الأداء العام لديهم دون المطلوب بما يقارب 4.5 درجة تقريبا، ولم يصل إلى المستوى المتوسط (12.5) فما فوقه سوى 8.4% من المستجوبين. ومن ناحية أخرى، فإن الانحراف المعياري يعكس وجود تفاوت نسبي بين نتائج أفراد العينة.

وبالنظر إلى مهارة البحث عن المعلومات، نجد أن المتوسط الإجمالي الفعلي (10.53 درجة) يقل نحو درجتين فقط عن الحد الأدنى المفترض لامتلاك المهارة (12.5 درجة)، مما جعلها ثاني أفضل مهارة معرفية لدى المستجوبين. ولكن هذا لا ينفي وجود ضعف عام في هذه المهارة، وهذا ما تؤكده قيمة الانحراف المعياري التي تدل على عدم وجود تشتت كبير في درجاتها.

وفيما يتعلق بمهارة استخدام التقانة، فإن الأداء العام لأفراد العينة يقارب المستوى المتوسط المطلوب، مما يدل على اكتساب نسبي لهذه المهارة. فقد كان المستوى الأدنى المفترض لإقرار الاقتراب من هذه المهارة هو الحصول على درجة 12.5 من 25. وقد بلغت نسبة الحاصلين على الحد المتوسط فأكثر نحو 58.8% من المشاركين. وتكشف قيمة الانحراف المعياري عن تجانس أفراد العينة.

وعند مقارنة نتائج الذكور بنتائج الإناث

في المهارات الأربعة، يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الإناث في مهارتي معالجة المعلومات والتواصل الكتابي، بينما يختلف الأمر في مهارة استخدام التقانة، حيث كانت لصالح الذكور، وبالنسبة لمهارة حل المشكلات ظهر تفوق طفيف لمتوسط الذكور على الإناث، ولكنه غير ذي دلالة إحصائية.

مدى جاهزيَة التلاميذ المستجوبين، من حيث التحكم في المهارات المعرفية

توضح مجمل النتائج أن التلاميذ المستجوبين لا يمتلكون الحد الأدنى الذي يهيئهم لولوج مجتمع المعرفة، في حين أن ما يقرب من ثلاثة أرباعهم يوجدون في «بداية الجاهزية» (73.1%). أما خانة «تقدم في الجاهزية» فتضم فقط 11.7% من التلاميذ، في حين أن اكتساب مقومات «الجاهزية» هو قريب المنال لأن هناك بداية محددة، لكن لم يبلغها أي فرد من العينة بعد.

وتؤكد النتائج التفصيلية الخلاصة الأنفة الذكر والتي أبرزتها النتائج العامة، وهي أن التلاميذ يتحكمون في مهارة استخدام التقانة أكثر من المهارات الأخرى؛ حيث بلغ مستوى الجاهزية في تلك المهارة 4.3%. ولمزيد من التدقيق بحثنا عن عدد التلاميذ الذين يقعون في فئة «عدم الجاهزية» في كل المهارات المعرفية، فكانوا 12 تلميذاً (0.8%). ولم يوجد تلميذ واحد جاهز تماما في كل المهارات في آن واحد.

ثانيا: المهارات الوجدانية

انصب الاهتمام عند قياس المهارات الوجدانية على ثلاث مهارات فرعية وهي: مهارة معرفة الذات وتقديرها؛ مهارة رعاية الدافعية للتعلم؛ مهارة التخطيط للمستقبل. وفيما يلي عرض لنتائج تحليل المهارات الوجدانية.

النتيجة الإجمالية لتحليل متوسطات المهارات الوجدانية الثلاث

يتضح من خلال الجدول السابق أن درجات التلاميذ تراوحت بين 0 و66.27، أي

نتائج المهارات الوجدانية مجمعة
(تتراوح الدرجة الكلية من 0 إلى 75)

الوسط المتوسط الحسابي			الانحراف المعياري		الانحراف المعياري	أصغر درجة	أعلى درجة	الفروق الإحصائية بين الذكور والإناث
ذكور	إناث	إجمالي	ذكور	إناث				
36.11	38.34	37.33	17.6	16.03	16.8	0	66.27	لصالح الإناث

لم يبلغ أحد منهم الحد الأقصى المتوقّع. وقد تحصّل 146 تلميذا (نسبة 9.3%) على صفر. أما المتوسط الحسابي الإجمالي فقد بلغ 37.33 من 75 درجة. فإذا سلّمنا بأن 37.5 تعتبر الدرجة الدنيا المطلوبة لإقرار امتلاك التلميذ الحدّ الأدنى من المهارات الوجدانية، فإننا نجد أن غالبية المستجوبين قد بلغوا ذلك (73% تحصلوا على 37.5 فما فوق) على خلاف المهارات المعرفية. ونلاحظ من خلال قيمة الانحراف وجود توافق بين التلاميذ أي عدم وجود تشتت كبير في الدرجات. وقد تبين أن متوسط الإناث أعلى من متوسط الذكور بفارق ذي دلالة إحصائية.

النتائج التفصيلية

تؤكد النتائج التفصيلية ما سبق ذكره في النتائج العامة، حيث سجل تقدم ملموس في اكتساب مهارتي معرفة الذات وتقديرها (بمتوسط حسابي 20.61)، ورعاية الدافعية للتعلم (بمتوسط حسابي 18.73)، كما تبين قيمة الانحراف المعياري وجود توافق كبير بين المستجوبين في المهارتين، في حين تعاني مهارة التخطيط للمستقبل تعثرا ملحوظا (بمتوسط حسابي 4.44)، مع وجود تشتت واضح بين المستجوبين في هذه المهارة. وكانت هذه النتائج عامة سواء لدى الذكور أو الإناث، حيث لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية بينهما على مستوى جميع المهارات الوجدانية.

وعند مقارنة المتوسطات التي حصلنا عليها في كل مهارة من المهارات الوجدانية المدروسة، تبيّن أن فارق كبير ودال إحصائيا، أي أنه تأكّد وجود التفاوت في مستويات امتلاك المهارات فعلا، فأداء التلاميذ يتفاوت من مهارة إلى أخرى: فالأضعف كان في مهارة التخطيط للمستقبل؛ أما الأداء الجيد فكان في مهارتي معرفة الذات وتقديرها، ومهارة الدافعية للتعلم.

مدى جاهزية التلاميذ من حيث المهارات الوجدانية

نلاحظ أن 16.7% من التلاميذ المستجوبين لا يمتلكون الحدّ الأدنى من المهارات الوجدانية الذي يهيّئهم للدخول إلى مجتمع المعرفة. كما نجد في الطرف الآخر من السلم أقلية أخرى (2.5%) تمثل نسبة التلاميذ الجاهزين. وعند مقارنتها بالمهارات المعرفية، نلاحظ أن أغلبية التلاميذ (70.5%) تقع في المستوى الثالث أي في طور اكتساب المهارات الوجدانية المطلوبة.

مستويات جاهزية التلاميذ في المهارات الوجدانية يلاحظ أنه عدا مهارة التخطيط للمستقبل، تحتل غالبية المستجوبين المستويين الثالث والرابع من سلمّ الجاهزية، أي أنّ لديهم تقدير الذات (78.4%) وبدرجة أقل الدافعية للتعلّم (50.4%) الشيء الذي يهيئهم للاستجابة للمتطلبات الوجدانية لمجتمع المعرفة.

ثالثا: المهارات الاجتماعية

كما هو الحال في المهارات الوجدانية، قيست المهارات الاجتماعية وفقا لنتائج ثلاث مهارات فرعية هي: مهارة التواصل مع الآخرين، مهارة العمل الجماعي، مهارة المشاركة في الحياة العامة. وفيما يلي عرض لنتائج التلاميذ في المهارات الاجتماعي مجمعة ومفصلة.

نتائج المهارات الاجتماعية مجمعة
(تتراوح الدرجة الكلية من 0 إلى 75)

الوسط المتوسط الحسابي			الانحراف المعياري		الانحراف المعياري	أصغر درجة	أعلى درجة	الفروق الإحصائية بين الذكور والإناث
ذكور	إناث	إجمالي	ذكور	إناث				
36.36	36.44	36.39	21.86	22.83	22.37	0	73.25	لا يوجد فرق

نلاحظ أن درجات التلاميذ تراوحت بين 0 و73.25، أي أنه لم يبلغ أي واحد منهم الحد الأقصى المتوقّع. وقد تحصّل 270 تلميذا (نسبة 17.2%) على صفر. أما المتوسط الحسابي الإجمالي فقد بلغ 36.39 من 75. فإذا سلّمنا بأن درجة 37.5 تعتبر المستوى الأدنى المطلوب لإقرار امتلاك التلميذ الحدّ الأدنى من المهارات الاجتماعية، فإننا نجد أن نسبة 47.2% من المشاركين تحصلوا على المستوى الأدنى (37.5) فما فوق. من ناحية أخرى، نلاحظ وجود تشتت كبير في الدرجات بين التلاميذ فيما يخص النتائج الإجمالية للمهارات الاجتماعية؛ ولا يوجد فارق ذو دلالة إحصائية بين الإناث والذكور في المهارات الاجتماعية مجمعة.

النتائج التفصيلية للمهارات الاجتماعية

تؤكد النتائج التفصيلية أن ما يقرب من نصف المستجوبين تحصل على المهارات الاجتماعية، لكن بمستويات وقيم مختلفة؛ حيث سجل المتوسط الحسابي الإجمالي لمهارة التواصل مع الآخرين 18.19 ومهارة المشاركة في الحياة العامة 13.8 ومهارة العمل الجماعي 12.7. ولم يوجد فارق ذو دلالة إحصائية بين الإناث والذكور في أي من المهارات الاجتماعية. مع تسجيل فروق دالة بين المهارات التي اكتسبها المستجوبون.

مدى جاهزية التلاميذ من حيث المهارات الاجتماعية

بالنظر إلى المهارات الاجتماعية مجمعة، يكاد يتوزّع التلاميذ بالتساوي بين المستويات الأربعة من الجاهزية، غير أن الفئة الثالثة تتميز بأنها تجتذب التلاميذ أكثر من الفئة الثانية، لذلك نجد أن الفئتين الثالثة والرابعة تضمان تقريبا 57% من أفراد العينة.

وتبين البيانات أن التلاميذ جاهزون للمشاركة في مجتمع المعرفة في جانب

المهارات الاجتماعية أكثر من جوانب المهارات المعرفية والوجدانية. ولكن إذا قارنّا بين نسب التلاميذ في فئة «غير الجاهزية» بالنسبة للمهارات المعرفية والوجدانية والاجتماعية، فإننا سنجد أن نسبة «غير الجاهزين» في المهارات الاجتماعية هي الأكبر (26.1%)، تليها المهارات الوجدانية (16.7%) ثم المعرفية (15.2%).

مستويات جاهزية التلاميذ في المهارات الاجتماعية

نلاحظ أن أفضل مهارة هي مهارة التواصل مع الآخرين، حيث يتمركز معظم التلاميذ في فئة الجاهزين. ونجد أن أضعف مهارة من ناحية «الجاهزية» هي مهارة المشاركة في الحياة العامة، حيث تحتوي على أقل نسبة من التلاميذ في فئة الجاهزية (29.7%).

ولمزيد من التدقيق بحثنا عن عدد التلاميذ الذين يقعون في فئة «الجاهزية» في المهارات الاجتماعية الثلاث مجتمعة (أي الجاهزون بالنسبة لكل من المهارات الاجتماعية) فكانوا 137 تلميذا (8.7%) في حين لم يوجد أي تلميذ غير جاهز تماما.

آراء المشاركين في ورشة العمل حول أهمية المهارات ومدى توافرها لدى التلاميذ

يجسد الجدول التالي المهارات المتوافرة وتلك التي يجب توافرها لدى التلاميذ عينة الدراسة من وجهة نظر المشاركين في ورشة العمل:

نتائج القيم

تمثل القيم المحور الثاني الذي اهتمت به الدراسة لمعرفة مدى جاهزية التلاميذ للانخراط في مجتمع المعرفة. وقد قيست أربعة أنواع من القيم هي القيم المعرفية والوجدانية والاجتماعية والكونية على مقياس حده الأدنى 1 وحده الأعلى 5 ولذلك تم افتراض أن الحد الأدنى لامتلاك القيمة هو 3 درجات. وفيما يلي عرض لنتائج القيم الخاصة بأفراد العينة.

نتائج القيم مجمعة
(تتراوح الدرجة الكلية من 1 إلى 5)

الوسط المتوسط الحسابي			الانحراف المعياري		الانحراف المعياري	أصغر درجة	أعلى درجة	الفروق الإحصائية بين الذكور والإناث
ذكور	إناث	إجمالي	ذكور	إناث				
3.84	4.01	3.94	0.369	0.275	0.33	2.54	4.77	لصالح الإناث

بلغ متوسط درجات المشاركين 3.94 درجة، وهذا يدلّ على أن الأغلبية من المستجوبين أظهروا امتلاكهم لكل القيم المدروسة. كما يدلّ الانحراف المعياري على وجود تجانس كبير بين أفراد العينة. غير أنه تجدر الملاحظة هنا أننا حين نتحدّث عن القيم، فإننا نتحدّث عمّا يصرّح به التلاميذ، وهو ليس بالضرورة ما يمتلكونه

أو ما يمارسونه فعلا من قيم، لهذا فإنه لا بد من التعامل بحذر مع هذه النتائج. وقد أظهرت النتائج أن متوسط درجات القيم لدى الإناث أعلى من متوسط الذكور بفارق ذي دلالة إحصائية.

النتائج التفصيلية

إن القيم حاضرة بشكل قوي لدى المستجوبين، وذلك حسب ما صرحوا به. وبالنظر إلى الدلالة الإحصائية للفروق بين القيم يتبين تصدر القيم المعرفية لجميع القيم الأخرى، تليها القيم الوجدانية والكونية اللتان لا توجد بينهما فروق ذات دلالة إحصائية. وتأتي القيم الاجتماعية في آخر القائمة حيث سجل المستجوبون أقل الدرجات. كما تبين درجات الانحراف المعياري وجود تجانس كبير بين المستجوبين. وعند تحليل الفروق بين الذكور والإناث تبين تفوق الإناث في جميع القيم. ومن ناحية أخرى كشفت عملية المقارنة بين متوسطات المهارات المستهدفة وجود فروق ذات دلالة إحصائية

مدى جاهزيّة التلاميذ من حيث القيم

مكّنت الدرجات التي تحصل عليها التلاميذ بالنسبة للقيم مجمّعة، من تصنيف أغلبهم في المستويين العلويين من سلّم الجاهزية: 51.5% منهم في طور الجاهزية و47.2% منهم جاهزون. وهذا الوضع يختلف عمّا سجلناه في مستوى المهارات المعرفية. ولمزيد من التدقيق بحثنا عن عدد التلاميذ الذين يقعون في فئة«الجاهزية» في كل القيم فكانوا 194 تلميذا (12.3%) مقابل أنه لم يوجد أي تلميذ غير جاهز تماما.

مستويات جاهزية التلاميذ في القيم

بالنظر إلى أعلى السلّم (فئة الجاهزين) نلاحظ أن التلاميذ أكثر جاهزية في مستوى القيم المعرفية والوجدانية، يلي ذلك القيم الكونية، وأخيرا القيم الاجتماعية، لكن عموما يعتبر الوضع أقلّ سوءا من المهارات المعرفية باعتبار أنه، باستثناء أقلية صغيرة جدا، يمتلك التلاميذ المستجوبون الحد الأدنى من القيم التي تجعلهم إمّا في طور بناء الجاهزية أو بلوغها فعلا.

مدى حضور مجمل القيم حسب رأي المدرسين لدى التلاميذ

وفيما يتعلّق بالمقارنة بين مدى حضور القيم لدى التلاميذ من وجهة نظر المدرسين، كشف التحليل أن المدرسين يقرّون ارتفاع القيم الوجدانية لدى التلاميذ، تليها القيم الكونية، ثم القيم الاجتماعية، ثم القيم المعرفية مع وجود فوارق ذات دلالة إحصائية بينها جميعا.

من ناحية أخرى، بينت المقارنة بين مدى أهمية القيم ومدى حضورها لدى التلاميذ من وجهة نظر المدرسين وجود فوارق دالة إحصائيا لصالح أهمية القيم حيث كانت أهمية القيمة أعلى من وجودها لدى التلاميذ.

واعتمادا على المقارنة مع المعطيات الخاصة بقيم التلاميذ من وجهة نظرهم، نسجل أن التلاميذ يبنون نظامهم القيمي خارج النسق التراتبي الذي اقتنع به المدرسون. فقد أبرزت المقارنة أن التلاميذ يرون أنفسهم أفضل من تقدير أساتذتهم لهم، الذين تقيدوا، ربما، بمعطيات أكثر موضوعية. وبقدر ما يشير ذلك إلى تفاوت النظامين، بقدر ما يؤشر إلى استعانة التلاميذ بمصادر أخرى في تكوين نسقهم القيمي. كما يؤشر أيضا إلى أن التلاميذ بتأثير من تقدير الذات، الذي قد يكون مبالغا فيه في هذه المرحلة العمرية، قد منحوا أولوية للقيم المعرفية، بما فيها من مثابرة واجتهاد وحب استطلاع.

وقد أجمعت آراء المشاركين في ورشة العمل من أصحاب الرأي والخبرة أن هناك قيما ثلاثا يجب توافرها في النشء الانخراط في مجتمع المعرفة، وهي الاجتهاد وحب المعرفة وتحمل المسؤولية وجميعها ترتبط أساسا بالتعلم والتي ظهرت بالفعل قوتها لدى التلاميذ. كما اتفقت آراء المشاركين أن القيم المتوافرة بقوة لدى النشء في المغرب هي التمسك بالحرية الشخصية والطموح والانفتاح على الغير، وأرجعوا أسباب وجود ذلك بقوة إلى الموقع الجغرافي للمغرب والاحتكاك بالثقافة الغربية وثقافة الغير، ورغبة النشء في الحفاظ على الهوية مع الانفتاح على الآخر؛ والظروف التاريخية للمغرب وتطوره بعد الاستقلال. كما تبين أن أضعف القيم لدى النشء من وجهة نظر المفكرين، هي إرادة المشاركة في الحياة العامة، وهذه النتيجة تتفق مع نتائج استبيان التلاميذ الذي ابرز بدوره ضعف المستجوبين في المهارة المرتبطة بهذه القيمة. كما أوضح استبيان المدرس وجود ضعف لدى التلاميذ في تحمل المسؤولية والثقة بالنفس واستقلالية الفكر والفعل وعدم التبعية.

آراء المشاركين في ورشة العمل حول أهمية القيم ومدى توافرها لدى التلاميذ

البيئات التمكينية

تأثير البيئات التمكينية على المهارات والقيم

تم تلخيص البيئات التمكينية انطلاقا من استبيان التلاميذ في المتغيرات التالية:

تركيبة الأسرة: أسرة متكاملة العناصر أو أسرة منفصلة (غياب الأب أو الأم بسبب الطلاق أو الوفاة أو الهجرة)، المستوى التعليمي للأب، المستوى التعليمي للأم، اهتمام الأسرة بدراسة التلميذ، النمط التربوي للأسرة، مستوى الرفاهة بالأسرة، مستوى الرفاهة التعليمية في المنزل، مستوى الرفاهة التعليمية بالبيئة المحلية ومستوى الرفاهة التعليمية في المدرسة:

كشف تحليل الانحدار عمّا يلي:

1. تتأثر المهارات المعرفية بستة متغيرات دالة من متغيرات البيئة التمكينية، وهي المستوى التعليمي للأم واهتمام الأسرة بدراسة التلميذ والرفاه المادية بالأسرة

والرفاه التعليمية بالمنزل والمستوى التعليمي للأب والرفاه التعليمية بالمدرسة.

2. المهارات الوجدانية: تبين النتائج أن المهارات الوجدانية تتأثر تأثرا دالا بمتغيرين اثنين، وهما النمط التربوي للأسرة والرفاهة التعليمية بالبيئة المحلية.

3. المهارات الاجتماعية: تتأثر المهارات الاجتماعية بثلاثة متغيرات دالة من متغيرات البيئية التمكينية المرصودة، وهي الرفاهة التعليمية في المدرسة، والرفاهة التعليمية في المنزل، والرفاهة التعليمية بالبيئة المحلية.

4. القيم المعرفية: تتأثر القيم المعرفية بأربع متغيرات دالة من متغيرات البيئة التمكينية المرصودة، وهي: النمط التربوي في الأسرة والرفاهة التعليمية في المنزل والرفاهة بالأسرة والرفاهة التعليمية في المدرسة.

5. القيم الاجتماعية: تتأثر القيم الاجتماعية بستة متغيرات دالة من متغيرات البيئة التمكينية، وهي: النمط التربوي في الأسرة، المستوى التعليمي للأم، الاهتمام بشؤون دراسة التلميذ، الرفاهة بالأسرة، الرفاهة التعليمية في المنزل وأخيرا الرفاهة التعليمية بالبيئة المحلية.

6. القيم الوجدانية: تتأثر القيم الوجدانية بأربعة متغيرات دالة من متغيرات البيئة التمكينية المرصودة، وهي: النمط التربوي في الأسرة، الرفاهة بالأسرة، الرفاهة التعليمية في المنزل وأخيرا المستوى التعليمي للأم.

7. القيم الكونية: تتأثر القيم الكونية بستة متغيرات دالة من متغيرات البيئة التمكينية المرصودة، وهي: النمط التربوي للأسرة، الرفاهة بالأسرة، الرفاهة التعليمية في المنزل، المستوى التعليمي للأم، الاهتمام بشئون دراسة التلميذ وأخيرا الرفاهة التعليمية بالبيئة المحلية.

وفي الخلاصة، نلاحظ أن أكثر المتغيرات المستقلة التي ظهرت في النماذج ترتبط بالأسرة أساسا، ثمّ البيئة المحلية وبعدها البيئة المدرسية؛ أي أنّ الأسرة بما يتوافر لها من إمكانات مادية وتعليمية ومتابعة للأبناء تلعب دورا هاما في تمكينهم من اكتساب المهارات الأساسية (المتغيرات التابعة)؛ ويضاف إلى الأسرة متغير الرفاهة التعليمية في البيئة المحلية؛ ثم يأتي في مرحلة لاحقة الظروف التعليمية في المدرسة.

آراء التلاميذ ومدرسيهم والمشاركين في ورشة العمل حول البيئات التمكينية

البيئة المدرسية

يبدو من خلال نتائج الدراسة أن التلاميذ يتحقق لديهم نوع من الرضا تجاه العلاقات السائدة في المحيط المدرسي الذي يعيشون فيه وتحقيق التكيف مع الأساتذة وزملاء الدراسة؛ وأن المؤسسات التعليمية التي يرتادونها تحقق لهم إلى حد ما درجة من الأمن والأمان تساعد على تلقي المعرفة والتكوين الذي يؤهلهم إلى المستقبل المنشود.

آراء التلاميذ حول المدرسة وعلاقتهم بمكوناتها (٪)				
	أوافق تماما	أوافق إلى حدّ ما	لا أوافق	لا أوافق مطلقا
أ- أستطيع فهم المواد الدّراسية بسهولة	18.2	67	13.1	1.7
ب- تقوّي المدرسة رغبتي في طلب العلم والتفوّق فيه	39.3	41.7	12.9	6.1
ج- أشعر بالراحة والأمان في المدرسة	45.1	36.4	11.5	7
د- لديّ علاقة طيبة مع أساتذتي (احترام متبادل)	70.9	23.6	3.2	2.3
ه- تجمعني علاقة طيّبة مع زملائي/زميلاتي في المدرسة	70.6	26	2.6	0.8
و- تعدّني المدرسة للمستقبل إعدادا جيّدا	43.9	39.9	9.1	7.1

وقد اتفق مدرسو هؤلاء التلاميذ إلى حد ما، مع هذه النتيجة، حيث أظهر تحليل استبيان المدرسين أن المناخ المدرسي السائد في معظم المؤسسات التعليمية إيجابي، فهو يكاد يخلو من الخلافات بين التلاميذ ومدرسيهم، حيث تراوحت الإجابات بين ندرة الخلافات (37%) وعدم وجودها على الإطلاق (23.9%)، اللهم من بعض الخلافات التي تظهر من حين لآخر بين التلاميذ أنفسهم وذلك ما صرح به (42.3%) من المستجوبين والتي يمكن أن تعود أسبابها إلى المرحلة العمرية التي يمرون بها والتي يسعى فيها كل واحد منهم إلى إثبات ذاته وتأكيدها بين أقرانه، مما يقود أحيانا إلى بعض مظاهر العنف والتي تساهم وسائل الإعلام بنصيب وافر في تأجيجها.

وبخصوص آراء المدرسين حول ما توفره المدرسة للتلاميذ من بيئات تساعدهم على التعلم، فإننا نجد أن الصورة ليست إيجابية حيث أن المدارس لا تتوافر على المدرسين الاحتياطيين الذين يعوضون الغائبين من زملائهم كما صرح به 52.6% من المدرسين في العينة. كما لا يوجد نظام تقييم المتعلمين لمدرسيهم، فضلا عن غياب دورات التكوين المستمر للمدرسين.

وبالإضافة إلى ما سبق، اتفق المدرسون أن أكثر العوامل المؤثرة في المتعلمين تتجلى في «نقص الوسائل والتّجهيزات في المدارس» (92.6%)، و«ضعف الحوافز المادية والمهنية...» (89.1 %)، وضعف مستوى اللغة العربية واللغات الأجنبية (80.2% و88% على التوالي). فضلا عن «تعدّد مصادر المعرفة المنافسة للمدرسة» (57.5%)، و«ضعف إعداد المدرّسين» (69.6%). إن كل هذه العوامل لا تساعد على الإصلاح التربوي للمدرسة، وهذا ما يعمل المخطط الاستعجالي على تداركه (وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، 2008ب).

أما بالنسبة للبيئة المدرسية الصحية، فلا يوجد توافق عام بين المستجوبين حول توافر هذه البيئات حيث تراوحت الإجابات بين «لا أوافق مطلقا» و«أوافق تماما».

فبالنسبة للبيئة المدرسية الصحية، يتضح من خلال استجابات المفحوصين أن مؤسساتهم التعليمية، توفر لهم بيئات وعي صحي جيد بشكل عام، فهي تنظم لهم من حين لآخر حملات صحية ضد الأوبئة الطارئة في بيئاتهم وتقدم لهم برامج التوعية ضد الأمراض الخطيرة.

وتشتمل المقررات والبرامج الدراسية على موضوعات تتعلق بالتربية الصحية والتربية البيئية وأخرى بحقوق الإنسان. إلا أن بعض المؤسسات التعليمية ما زالت تفتقر إلى العيادات المجهزة بالوسائل والمعدات الصحية. كما أنه لم تتوافر كل المؤسسات التعليمية على المرشدين الاجتماعيين والأخصائيين النفسيين حتى الآن.

البيئة المجتمعية

لا تنفصل البيئة المجتمعية عن البيئة المدرسية، فقد ظهر في استجابات التلاميذ الأثر السلبي لغياب التربية السياسية في المدارس، وذلك من خلال استجابات المستجوبين، إذ أن أغلبهم لا يميل إلى فكر سياسي معين (69%). كما لا يرغبون في المشاركة السياسية (63%). وهذا يدلّ على نفور النشء، أسوة بالراشدين، من الأمور التي تتعلق بالشأن السياسي.

آراء التلاميذ حول المشاركة السياسية

آراء التلاميذ حول حرية الخيارات المتاحة لديهم (%)				
	حرية كبيرة	حرية متوسطة	حرية ضعيفة	حركة منعدمة
أ- الخيارات الشخصية	64.5	30.9	3.8	0.8
ب- الخيارات العلمية	43.4	45	9.2	2.3
ج- الخيارات الفكرية	59.7	31.1	7	2.2

وبينت نتائج البحث أن أغلب المستجوبين (64.5%) يرون أن لديهم حرية كبيرة في تحديد خياراتهم الشخصية. كما تتحقق لهم الخيارات الفكرية، وهي خيارات ترتبط بدون شك، بالخيارات الشخصية، في حين تكشف آراء التلاميذ نقصا في حرية الخيارات العلمية (43.4%)، بسبب عدم توافر فرص اختيار المواد الدراسية التي يتلقونها، من جهة، وعدم إمكانية اختيار تخصصاتهم العلمية والمعرفية بعد حصولهم على البكالوريا، من جهة ثانية، لارتباط ذلك بالدرجات المحصل عليها.

وجاءت نتائج المدرسين بدورها شبيهة بنتائج التلاميذ، حيث يشعر المدرسون بدرجة عالية من الحريات الشخصية (35% حرية مطلقة و37.3% حرية كبيرة) والفكرية تليها الحريات العلمية، أما آخرها فكانت الحريات المهنية التي أعرب أكثر من نصف عينة البحث (53.7%) أنها محدودة. إن من شأن هذه النتائج أن تؤثر على الأداء المهني للمدرسين، لأن توافر فضاء الحرية المهنية والحرية الفكرية والعلمية من شأنه أن يساعد على الإبداع والابتكار في العمل. وقد كانت نتائج التلاميذ كذلك بخصوص

التعبير عن الرأي إيجابية سواء داخل الأسرة أو خارجها.

كما عبر المدرسون بدورهم عن شعورهم بالحرية في التعبير عن الرأي، حيث أكدت نسبة 86.6% منهم ذلك.

أما بخصوص موضوع نزاهة وموضوعية القنوات الإعلامية، فقد وافقت نسبة متوسطة من المستجوبين من التلاميذ «إلى حد ما» على أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تنقل الصورة بنزاهة وصدق(40.6%)، وتعرض الآراء المختلفة للمجتمع (45.3%). واكتفت نسب أقل من ذلك بالقول بأنها توافق «تماما» على ذلك. وإلى ذلك أو قريب منه اتجهت الاستجابات نحو وسائل الإعلام الخاصة.

آراء التلاميذ حول قدرتهم على التعبير عن آرائهم داخل وخارج الأسرة

آراء التلاميذ في وسائل الإعلام الحكومية (%)					
	لا أعلم	لا أوافق مطلقا	لا أوافق	أوافق إلى حدّ ما	أوافق تماما
أ- وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تنقل الصورة بنزاهة وصدق	4.2	8.2	20	40.6	27
ب- وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تنقل الآراء المختلفة للمجتمع	5	5.1	11.3	45.3	33.3

آراء التلاميذ في وسائل الإعلام غير الحكومية (%)					
	لا أعلم	لا أوافق مطلقا	لا أوافق	أوافق إلى حدّ ما	أوافق تماما
أ- وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تنقل الصورة بنزاهة وصدق	6.9	7.3	17.8	38.7	29.3
ب- وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تنقل الآراء المختلفة للمجتمع	8.1	5.1	11.6	41.3	33.9

آراء التلاميذ حول البيئة التمكينية القانونية والاجتماعية (٪)				
	لا أعلم	لا أوافق مطلقا	لا أوافق	أوافق إلى حدّ ما	أوافق تماما
أ- توجد قوانين صارمة تعيد الحقوق لأصحابها داخل المدرسة	4.2	5.5	13	37.2	40.1
ب- توجد قوانين صارمة تعيد الحقوق لأصحابها في المجتمع ككل	5.8	8.4	20.5	39.5	25.8
ج- بسبب القوانين الموجودة في المدرسة يفكر الطالب كثيرا قبل الإخلال بقواعد السلوك	5.7	7.2	18.9	34.6	33.6
د- بسبب القوانين الموجودة في المجتمع ككلّ، يفكر الشخص كثيرا قبل الإخلال بقواعد السلوك	6.5	10.6	21.2	34.5	27.3
ه- لا يوجد تهاون في تطبيق القانون في المدرسة مهما كانت صفة الشخص أو منصبه	5.9	12.9	20.1	32.2	28.8
و- لا يوجد تهاون في تطبيق القانون في المجتمع مهما كانت صفة الشخص أو منصبه	7.4	20.7	23.2	25.7	23
ز-من يملك المال لديه فرصة أفضل في التّعليم	3.1	7.6	10.5	20.3	58.5
ح- شغل الوظائف يتمّ وفقا لكفاءة المتقدمين وليس لاعتبارات أخرى (الواسطة مثلا)	9.1	14.2	20.5	32.1	24.1
ط- الارتقاء في العمل لا يعتمد على الموضوعيّة ولكن يعتمد على الآراء الشخصيّة	14.5	6.5	15.2	38.2	25.6
ي- يتم الاحتكام إلى الاعتبارات الموضوعيّة في منح الشهادات والتوظيف والارتقاء وغيرها من الامتيازات لا على المحسوبيّة والوساطة	18.7	9.7	15	33	23.6

وأكدت نتائج البحث أن 40.1% من التلاميذ لديهم ثقة تامة في وجود قوانين صارمة تعيد الحقوق إلى أصحابها، في الوسط المدرسي في حين أبدوا ثقة أقل في وجود هذه القوانين في المجتمع ككل (25.8%)، وأكدت هذه النتيجة النسبة المنخفضة التي وافقت تماما (23%) على أنه لا يوجد تهاون في تطبيق القانون في المجتمع مهما كانت صفته. كما صرح أغلب المستجوبين (58.5%) بأن ولوج التعليم الجيد يتطلب مصاريف كثيرة في عالم اليوم، في حين وافق تماما 24.1% فقط من العينة على أن شغل الوظائف الراقية في المجتمع يتطلب الكفاءة والاقتدار ولا تتدخل أي اعتبارات أخرى في ذلك. كما ينطبق الأمر نفسه على رأيهم في طريقة منح الشهادات والتوظيف حيث وافق

تماما 23.6% فقط على انه يتم الاحتكام إلى الاعتبارات الموضوعية في منح الشهادات والتوظيف والارتقاء).

وأوضحت نتائج ورشة عمل المفكرين وصناع القرار، وجود اختلاف في الرأي بينهم حول توافر البيئات التي تدعم المساواة وتحقق الشعور بالثقة في المسؤولين، حيث نجد مجموعة اتفقت مع رأي التلاميذ الذين يرون بأن أكثر البيئات المتوافرة بقوة في المغرب، هي البيئة التي تمنح الشعور بالثقة في المسؤولين، وأرجعوا سبب ذلك إلى جهود الدولة والمجتمع المدني وإلى مناخ الحريات العامة المتاح في المغرب. بينما ذهبت مجموعة أخرى من المفكرين إلى عكس ذلك. وقد يعود هذا الاختلاف بين المشاركين في الورشة في الأغلب إلى تنوع خلفياتهم الفكرية والثقافية.

آراء المشاركين في ورشة العمل حول أهمية البيئات ومدى توافرها

خلاصة

من خلال البيانات السابقة المتعلقة بالتلاميذ المستجوبين والبيانات المتعلقة بالمدرسين وتلك المتعلقة بآراء بعض المفكرين وأصحاب القرار المشاركين في ورشة العصف الذهني، يمكن الخروج ببعض الملاحظات، وهي:

- توجد حركية متجهة إلى الأمام تعد بالأمل، إذا ما تم تحفيزها وتقويتها واستدراك مكامن ضعفها وتقويمها. فإذا لم تكن الفئات المستجوبة من التلاميذ كلها في طور الجاهزية للمشاركة في مجتمع المعرفة، فإنها مع ذلك ليست بعيدة عن الاقتراب منها.

- تلتقي آراء مختلف المستجوبين من تلاميذ وأساتذة وبعض المفكرين وأصحاب الرأي تارة وتختلف تارة أخرى، حول القضايا المثارة في البحث، وهو أمر طبيعي، بالنظر إلى الخلفية الثقافية لكل منها.

- تشكل مختلف الاستجابات التي تم الحصول عليها معينا هاما وخصبا يفيد في معرفة العديد من الجوانب المتعلقة بالنشء يمكن الاسترشاد بها في وضع الخطط والاستراتيجيات التربوية المستقبلية.

- يؤمل أن يتم التوسع في بعض النتائج التي تثير تساؤلات كثيرة للوقوف على أسبابها والعوامل الثاوية خلفها، باستخدام أساليب بحثية أكثر عمقا، مع توسيع قاعدة المستجوبين لتشمل الفئات الاجتماعية المختلفة التي يحتك بها النشء.

- يشكل طرفا المُتصل التعليمي، الطفولة المبكرة والتعليم العالي، أهمية كبيرة في منظومة التربية والتكوين، ومن هنا، فإن دراسة أوضاع النشء في هذا المتصل يعتبر أمرا هاما من أجل الإحاطة بكل إمكانات النشء وأوضاعه المعرفية بهدف تكوين صورة متكاملة عنه.

الواقع أن المغرب أدرك أهمية منظومة التربية والتكوين في تحديث المجتمع وتطويره، فعكف منذ بداية العقد الأخير من القرن

الماضي على مراجعة أوضاعها نوعا وكما في مختلف بنياتها. كما أنه وضع سياسات وخطط واستراتيجيات عديدة من أجل إصلاحها، كما تُرجم ذلك في الميثاق الوطني للتربية والتكوين والبرنامج ألاستعجالي، إلا أن مختلف هذه الجهود رغم أهميتها لم تكن في مستوى الطموحات التي كانت معقودة عليها، ومع ذلك فإنها تمثل في مجملها محاولات جادة للارتقاء بمستوى التعليم الذي لم يعد يشك أحد في أهميته للنهوض بالأمم، مما جعلها تجعله في أولى أولوياتها من حيث برامجها وسياساتها.

الهوامش

1 - مقياس يعبر عن القيمة التي تتمركز حولها بيانات العينة (أحد مقاييس النزعة المركزية)

2 - يستخدم عند إجراء الاختبارات الإحصائية

3 - يعبر عن درجة تشتت البيانات وكلما انخفض دل ذلك على تجانس البيانات.